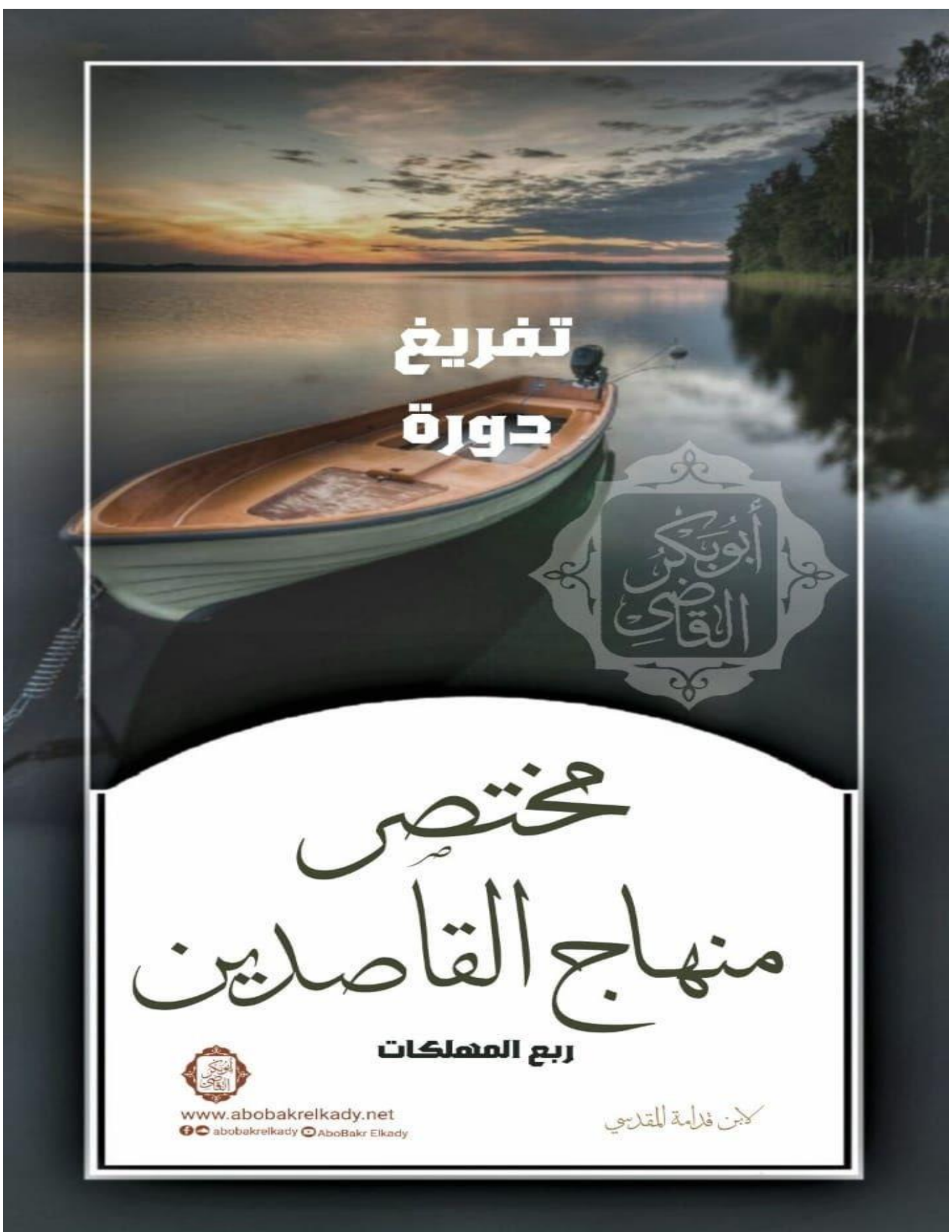

تفريغ
دورة

أبو بكر القاضي

مختصر
منهاج القاصدين

ربع المهلكات

لابن قدامة المقدسي

www.abobakrelkady.net
abobakrelkady AboBakr Elkady

المحاضرة الثامنة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثمّ أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار، ثمّ أما بعد:

فنستكمل ما بدأناه من كتاب مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة رحمه الله وقد بلغنا إلى [كتاب ذم الغضب والحقد والحسد]

قال : اعلم أن الغضب شعلة من النار، وأن الإنسان ينزع فيه عند الغضب عرق إلى الشيطان اللعين، حيث قال: {خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍوَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف: ١٢]

فإن شأن الطين السكون والوقار، وشأن النار التلظي والاشتعال، والحركة والاضطراب. ومن نتائج الغضب: الحقد والحسد، ومما يدّل على ذمّ الغضب قول النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي قال له: أوصني، قال: "لا تغضب"، فردد عليه مراراً، قال: "لا تغضب" لأنّ الغضب هو سبب كل أنواع الانحرافات، ولا يعلو الانسان ويحقد ويحسد ويبغض ويقتل ويسفك الدم إلي غير ذلك إلا مبدأ ذلك هو الغضب، ولا يغتاب وينمّ ويفحش ويتفحش إلا مبدأ ذلك أيضا الغضب.

قال: وفي حديث آخر أن ابن عمر رضى الله عنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ماذا يبعدني من غضب الله عزّ وجلّ؟ قال: "لا تغضب".

وفى المتفق عليه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **"ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب".**

وعن عكرمة في قوله تعالى: **{وَسَيِّدًا وَحَصُورًا} [آل عمران: ٣٩]**

قال: السّيّد الذي يملك نفسه عند الغضب ولا يغلبه غضبه.

وروينا أنّ ذا القرنين لقي ملكاً من الملائكة فقال: علمني علماً أزداد به إيماناً ويقيناً، قال: لا تغضب، فإنّ الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فرُدّ الغضب بالكظم، وسكّنه بالتؤدة، وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلاً ليّناً للقريب والبعيد، ولا تكن جباراً عنيداً. (هذا طبعا من الآثار الإسرائيلية لا شك ولكن معناه صحيح)

قال : وروينا أن إبليس لعنه الله بدا لموسى عليه السلام، فقال يا موسى: إياك والحدّة، فإني ألعب بالرجل الحديد كما يلعب الصبيان بالكرة، وإياك والنساء، فإني لم انصب فخّا في نفسي قط أثبت في نفسي من فخ أنصبه بامرأة، وإياك والشّحّ، فإني أفسد على الشحيح الدنيا والآخرة.

وكان يقال: اتقوا الغضب، فإنه يُفسد الإيمان كما يُفسد الصّبر العسل، والغضب عدوّ العقل.

قال : وحقيقة الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام (يبقى هيموت ويأخذ انتقامه)

فمتى غضب الإنسان ثارت نار الغضب ثوراناً يغلى به دم القلب، وينتشر في العروق، ويرتفع إلى أعالي البدن (ولذلك ضغطه يعلو وهرمون والأدرنالين يتفرز ويبدأ الدم يوجّه للعضلات عضلات الساقين واليدين لكي يكون له ردّ فعل) كما يرتفع الماء الذي يغلى في القدر، ولذلك يحمرّ الوجه والعين والبشرة وكل ذلك يحكي لون ما وراءه من حمرة الدم، كما تحكي الزجاجة لون ما فيها، وإنّما ينبسط الدّم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه.

فإن كان الغضب صَدَرَ ممن فوقه، وكان معه يأس من الانتقام، تولّد منه انقباض الدّم من ظاهر الجلد إلى جوف القلب، فصار حزناً أي أن (يعني لو الغضب صدر وهو عنده يأس من الانتقام فهو يبدأ يكتم الغضب هذا داخله، يتحول هذا الغضب إلى حزن وبعد ذلك يتحول هذا الغضب إلى حقد لأنه لم ينفس عنه، عن هذه الطاقة السلبية)

قال : ولذلك يصفر اللون، وإن كان الغضب على نظير يشك فيه، تردد الدم بين انقباض وانبساط، فيحمر ويصفر ويضطرب، فالانتقام هو قوت لقوة الغضب.

(أي على حسب، لو هذا الإنسان فوقي مش هقدر انتقم منه هينقبض الدم، أما إن كان نظيري ممكن يعني اعرف انتقم منه يبدأ الدم ما بين تردد وانقباض وانبساط)

قال : والناس في قوة الغضب على درجات ثلاث: إفراط، وتفريط، واعتدال.

فلا يحمد الإفراط فيها، لأنه يخرج العقل والدين عن سياستهما، فلا يبقى للإنسان مع ذلك نظر ولا فكر ولا اختيار. (خلاص يصبح مغيب)

قال : والتفريط في هذه القوة أيضاً مذموم، فينبغي أن يطلب الوسط لأنه يبقى لا حمية له ولا غيرة، ومن فقد الغضب بالكليّة، عجز عن رياضة نفسه، إذ الرياضة إنما تتمّ بتسليط الغضب على الشهوة، فيغضب على نفسه عند الميل إلى الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم، فينبغي أن يطلب الوسط بين الطريقين.

(يعني هو مش مطلوب منه يبقى بارد وجبلة ولا يغضب لنفسه ولا يغضب على محارمه ده انسان بارد وده انسان ممكن يصل الى الدياثة، ولا في نفس الوقت الافراط في الجانب الآخر إنه يغضب يخرجه هذا الغضب إلى حد خارج الاعتدال وينحرف وقد يعني يفعل المحرم والمخالفات بهذا الغضب ويقول أصل انا كنت غضبان لا هذا ليس مبرر، وانما الوسط يغضب حين تنتهك محارم الله الغضب المحمود أيضا الذي يلزمه بالشرع ويسامح في حق نفسه وحتى وإن غضب، لا يغضب غضبا يخرجه إلى المخالفة والمعصية والظلم)

قال : واعلم: أنه متى قويت نار الغضب والتهبت، أعمت صاحبها، وأصمّته عن كل موعظة، لأن الغضب يرتفع إلى الدماغ، فيغطي على معادن الفكر، وربما تعدى إلى معادن الحس، فتُظلم

عينه حتى لا يرى بعينه، وتسود الدنيا في وجهه، ويكون دماغه على مثال كهف أضرمت فيه نار، فاسود جوه، وحمي مستقره، وامتلأ بالدخان، وكان فيه سراج ضعيف فانطفأ، فلا يثبت فيه قدم، ولا تسمع فيه كلمة، ولا ترى فيه صورة، ولا يقدر على إطفاء النار، فكذلك يُفعل بالقلب والدماغ، وربما زاد الغضب فقتل صاحبه.

قال: ومن آثار الغضب في الظاهر، تغير اللون، وشدة الرعدة في الأطراف، وخروج الأفعال عن الترتيب، واستحالة الخلقة، وتعاطي فعل المجانين، ولو رأى الغضبان صورته في حال غضبه وقبحها لأنف نفسه من تلك الحال، ومعلوم أن قبح الباطن أعظم.

قال : [١ .فصل في بيان الأسباب المهيّجة للغضب وذكر علاج الغضب]

قد عرفت أن علاج كل علة بحسم مادتها وإزالة أسبابها. فمن أسبابه: العجب، والمزاح، والمماراة، والمضادة، والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه، وهذه الأخلاق رديئة مذمومة شرعاً، فينبغي أن يقابل كل واحد من هذه بما يضاده، فيجتهد على حسم مواد الغضب وقطع أسبابه. وأما إذا هاج الغضب فيعالج بأمور:

أحدها: أن يتفكر في الأخبار الواردة في فضل كظم الغيظ، والعفو، والحلم، والاحتمال، كما جاء في البخاري من حديث ابن عباس رضى الله عنهما، أن رجلاً استأذن على عمر رضى الله عنه، فأذن له، فقال له: يا ابن الخطاب، والله ما تعطينا الجزل ، ولا تحكم بيننا بالعدل،

فغضب عمر رضى الله عنه، حتى هم أن يوقع به . فقال الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم:

{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف: ١٩٩]

وإن هذا من الجاهلين، فوالله ما جاوزها عمر رضى الله عنه حين تلاها عليه، وكان وقّافاً عند كتاب الله عزّ وجلّ. (وهذا لا يتأتى إلا بالممارسة وأن يتدرب الإنسان أن يقف عند كتاب الله عز وجل وآياته وأن يعظم شعائر الله تبارك وتعالى)

الثاني: أن يخوف نفسه من عقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله علي أعظم من قدرتي على هذا الإنسان، فلو أمضيت فيه غضبى، لم آمن أن يمضى الله عزّ وجلّ غضبه على يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

وقد قال الله تعالى في بعض الكتب: يا ابن آدم! اذكرني عند الغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقك فيمن أمحق.(طبعا هذا من الإسرائيليات لا شك)

الثالث: أن يحذّر نفسه عاقبة العداوة، والانتقام، وتشمير العدو في هدم أعراضه، والشماتة بمصائبه، فان الإنسان لا يخلو عن المصائب، فيخوّف نفسه ذلك في الدنيا إن لم يخف من الآخرة، وهذا هو تسليط شهوة على غضب ولا ثواب عليه، لأنه تقديم لبعض الحظوظ على بعض، إلا أن يكون محذوره أن يتغير عليه أمر يعينه على الآخرة، فيثاب على ذلك.

الرابع: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب على ما تقدّم، وأنه يشبه حينئذ الكلب الضارى، والسبع العادي، وأنّه يكون مجانباً لأخلاق الأنبياء والعلماء في عادتهم، لتميل نفسه إلى الاقتداء بهم. (نعم، فكل هذا علاج نظري، العلاج العملي بالمجاهدة)

الخامس: أن يتفكّر في السبب الذي يدعوه إلى الانتقام، مثل أن يكون سبب غضبة أن يقول له الشيطان: إن هذا يحمل منك على العجز، والذلة والمهانة، وصِغَر النفس، وتصير حقيراً في أعين الناس، فليقل لنفسه: تأنفين من الاحتمال الآن، ولا تأنفين من خزي يوم القيامة والافتضاح إذا أخذ هذا بيدك وانتقم منك، وتحذرين من أن تصغري في أعين الناس، ولا تحذرين من أن تصغري عند الله تعالى وعند الملائكة والنّبيين.

وينبغى أن يكظم غيظه، فذلك يعظّمه عند الله تعالى، فماله وللناس؟ أفلا يحب أن يكون هو القائم يوم القيامة إذا نودي: ليقم من وقع أجره على الله، فلا يقوم إلا من عفا، فهذا وأمثاله ينبغي أن يقرره على قلبه.

السادس: أن يعلم أن غضبه إنما كان من شيء جرى على وفق مراد الله تعالى، لا على وفق مراده، فكيف يقدّم مراده على مراد الله تعالى، هذا ما يتعلق بالقلب. يعني يذكّر نفسه بمسألة القدر، وأما العمل، فينبغي له السكون، والتعوذ، وتغيير الحال، وإن كان قائماً جلس، وإن كان جالساً اضطجع، وقد أمرنا بالوضوء أيضاَ عند الغضب، فهذه الأمور وردت في الأحاديث.

أما الحكمة في الوضوء عند الغضب، فقد بينها في الحديث. كما روى أبو وائل قال: كنا عند عروة بن محمد، فكلّمه رجل بكلام، فغضب غضباً شديداً فقام وتوضأ، ثم جاء فقال: حدثني أبي عن جدي عطية - وكانت له صحبة- قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلق من النار، و إنما تُطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ".

وأما الجلوس والاضطجاع، فيمكن أن يكون إنما أمر بذلك ليقرب من الأرض التي منها خُلِق، فيذكر أصله فيذل، ويمكن أن يكون ليتواضع بذله، لأن الغضب ينشأ من الكبر، بدليل ما روى أبو سعيد، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه ذكر الغضب وقال: "من وجد شيئاً من ذلك، فليلصق خدّه بالأرض" حديث ضعيف

وقيل: غضب المهدي على رجل، فدعا بالسياط فلما رأى شبيب شدة غضبه، وأطرق الناس فلم يتكلموا بشيء، قال: يا أمير المؤمنين، لا تغضبن لله بأشد مما غضب لنفسه، فقال: خلوا سبيله. (نعم، ذكّره أنّه سوف ينتقم من هذا الرجل بالسياط فهذا قد يسبب غضب الله تبارك وتعالى عليه ولذلك أراد أن يخلي سبيل الرجل)

[٢ . فصل في كظم الغيظ]

قال الله تعالى: {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ} [آل عمران: ١٣٤]

فذكر ذلك في معرض المدح.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "من كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيّره من أي الحور شاء".

وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: **من اتقى الله لم يشف غيظه، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.**

(أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)